حروب الجيل الرابع: الآليات والأبعاد

Fourth Generation Warfare: Techniques and Dimensions

شيماء محمد محمد عرفة*

Shimaa.pr2111@must.edu.eg

ملخص

تشهد البشرية اليوم تطورات مذهلة في مجالات علوم الاتصال وتكنولوجيا المعلومات، وأصبحت تأثيرات هذه التطورات واضحة وبشكل كبير على مختلف جوانب الحياة الإنسانية؛ حيث يشهد العالم الآن تحولات كبيرة في المفاهيم والنظريات السياسية والعسكرية التقليدية التي سادت لعقود كثيرة، وذلك بفضل الثورة الهائلة التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي باتت من أهم المحددات المؤثرة في إعادة تشكيل موازين القوى السياسية والعسكرية في العالم، فقد شهد العالم في العصر الحديث تطوراً لطبيعة الحروب واختلافاً في أساليبها عن الحروب التقليدية السابقة، وأطلق الباحثون ومراكز البحوث الإستراتيجية على هذا النوع من الحروب مُسمى **حروب الجيل الرابع**.

وقد راج مصطلح حروب الجيل الرابع في السنوات الأخيرة لوصف نوع جديد من الحروب غير التقليدية، حيث تُعرف حروب الجيل الرابع بأنها " **نوع من الحروب التي تستهدف القضاء على العدو داخلياً، بدلاً من تدميره عسكرياً**

* باحثة دكتوراة – قسم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة الفيوم.

باستخدام أسلحة وأدوات مختلفة، والتي تعتمد بشكل كبير على التكنولوجيا"؛ وفي هذا الإطار سوف تعرض الدراسة لمفهوم حروب الجيل الرابع من خلال عرض لتطور أجيال الحروب الأربعة وصولاً لحروب الجيل الرابع، ومن ثم الوقوف على أهم الأليات والأدوات التي تقوم عليها، لبناء صورة متكاملة لملامحها المختلفة، وتوصيف مخاطرها على الأفراد في المجتمع المصري.

الكلمات المفتاحية:

أجيال الحروب الحديثة؛ الحروب التقليدية؛ حروب الجيل الرابع.

Abstract

Today, humanity is witnessing amazing developments in the fields of communication sciences and information technology, and the effects of these developments have become clear and largely on various aspects of human life. Where the world is now witnessing major transformations in the traditional political and military concepts and theories that have prevailed for many decades, thanks to the massive revolution brought about by information and communication technology, which has become one of the most important determinants influencing the reshaping of the balance of political and military power in the world. Wars differ in their methods from previous conventional wars. Researchers and strategic research centers called this type of war **fourth-generation warfare.**

The term fourth-generation wars has been popular in recent years to describe a new type of unconventional war, where

fourth-generation wars are defined as "**a type of war that aims to eliminate the enemy internally, rather than destroying it militarily using different weapons and tools, which rely heavily on technology.**" ; In this context, the study will present the concept of fourth-generation wars by presenting the evolution of the four generations of wars to reach fourth-generation wars, and then stand on the most important mechanisms and tools on which they are based, to build an integrated picture of their various features, and describe their risks to individuals in Egyptian society.

Keywords:

Modern warfare Generations; Conventional Wars; Fourth-generation warfare.

أولاً: إشكالية الدراسة:

نظراً لما تشهده المجتمعات الحديثة من ظاهرة تنامي استخدام الوسائل التكنولوجية بين أفراد المجتمع؛ تبلورت ظاهرة **حروب الجيل الرابع** والتي اتسمت بطبيعة مختلفة عن نظيرتها التقليدية، من حيث المفهوم والأهداف والخصائص، والآليات والأدوات التي تقوم عليها، وكذلك المخاطر الناجمة عنها، وبناءً عليه تنطلق إشكالية الدراسة من التساؤل الرئيسي التالي: **ما المقصود بحروب الجيل الرابع من حيث المفهوم والطبيعة، وكذلك الآليات والأدوات التي تعتمد عليها، وأبعاد ومخاطر تأثيراها؟**

ثانياً: أهمية الدراسة:

1- الأهمية العلمية:

1- سد الفجوة المعرفية المُحيطة بمفهوم حروب الجيل الرابع، من خلال تحديد عناصر هذا الجيل من الحروب بشكل أوضح، ووضع إطاراً مفاهيمياً أكثر تماسكاً لماهية هذه الحروب.

2- الكشف عن أهداف حروب الجيل الرابع في المجتمع المصري، والكشف عن الآليات والأدوات التي تعتمد عليها.

3- توضيح أبعاد مخاطر حروب الجيل الرابع.

2- الأهمية التطبيقية:

1- محاولة وضع منهجية يستعين بها القائمين على وسائل الإعلام في رسم السياسات التي تكفل تقديم محتوى يعزز وعي الأفراد بمفهوم حروب الجيل الرابع.

2- يُسهم نشر الوعي بمخاطر حروب الجيل الرابع في توجيه صانعي القرار لسن تشريعات وقوانين خاصة بتلك الحروب.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

1- التعرف على حروب الجيل الرابع من حيث المفهوم والطبيعة.

2- التعرف على الآليات والأدوات التي تقوم عليها حروب الجيل الرابع.

3- التعرف على أبعاد تأثير مخاطر حروب الجيل الرابع.

رابعاً: حروب الجيل الرابع (رؤية بنائية تاريخية):

لقد تغير مفهوم الحرب وارتبط بهذا التغيير تحولاً حقيقياً في مفهوم أمن الدولة، إذ لم تعد الدولة من حيث هي مؤسسة محلاً للاستهداف من قبل العدو ولا حتى النظام السياسي بل أمتد الأمر إلى الكيان الاجتماعي، بغية أجراء تعديلات مخطط لها في ثقافة وتصورات الدولة المستهدفة تجعل من استخدام القوة للسيطرة على الآخر أمراً غير ذي جدوى، بل أنه سيؤدي الى نتائج معاكسة مثل المقاومة، والحروب التقليدية وغير التقليدية؛ وتم استبدال هدف الحرب من السيطرة على الأراضي الى السيطرة على العقول، ومن تغيير النظام السياسي إلى تغيير المفاهيم والأفكار؛ ومن السيطرة المادية المباشرة المؤقتة ذات الكلفة العالية إلى السيطرة على الافراد والجماعات من خلال استهداف مقومات الكيان الاجتماعي بالأضعاف والنقص تمهيداً لإعادة تشكيله وفقاً لرؤية تخدم الطرف المنتصر في حرب العقول هذه [1].

وتزامناً مع الحركة المستمرة والسريعة لتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لم تعد الحروب حروباً عسكرية فقط، بل أخذت أشكالاً جديدة، واستحدثت وسائل وأساليب عصرية؛ حيث ظهرت ما تُعرف **بحروب الجيل الرابع**، لكن قبل توضيح مفهوم حروب الجيل الرابع ينبغي أولاً توضيح الحروب التي سبقت هذا الجيل [2].

- **تطور أجيال الحروب:**

الحرب واحدة ولكن تتعدد اساليبها، فهي ظاهرة بشرية قديمة ارتبطت بالنزوع البشري نحو السيطرة من جهة المعتدي وحفظ الذات من جهة المدافع، وستستمر

بوجود البشرية، ويعكس مفهوم أجيال الحروب ذلك التنوع في وسائل الحرب وما يرتبط بها من غايات تكون هي (مبرر) الحرب، اذ ترتبط الوسيلة من حيث درجة تأثيرها بنوع الغاية التي يراد تحقيقها؛ وإذا كان للحرب معنى واحداً فإن غاياتها، او نطاق تلك الغايات (المتمثل بدرجة الضرر الذي يُراد أن يلحق بالعدو ومداه الزمني)، هو الذي يحدد الجيل الذي تنتمي اليه حرب معينة من أجيال الحروب [3]. حيث تطورت أنواع الحروب إلى عدة أجيال لتُلائم أهدافها؛

وفيما يلي محاولة لتعريف أجيال الحروب وصولاً إلى حروب الجيل الرابع:

- **حروب الجيل الأول First Generation Warfare:**

هي **حروب تقليدية Conventional Wars** بين جيشين نظاميين يمثلون دول في حرب ومواجهة مباشرة وأرض معارك محددة، ويصفها الخبير العسكري "**ويليام ليند**" بأنها حروب الحقبة من 1648 إلى 1860، وخلال حروب الجيل الأول يتم تنفيذ عدد محدود من العمليات العسكرية، وتشمل عمليات المناورة والالتفاف لتطويق العدو وضربه وتدميره، وتتميز هذه الحروب بأن ميدان المعركة يكون منظم فهي التي خلقت ثقافة النظام العسكري البيروقراطي، واستمرت حروب الجيل الأول حتى منتصف القرن العشرين، وبدأت في الانهيار مع تطور جيوش العصر الصناعي حيث اصطدمت ثقافة النظام العسكري مع ساحة المعركة المضطربة بشكل متزايد، مما أدى إلى فترة من الارتباك الدموي في كثير من الأحيان [4].

- **حروب الجيل الثاني Second Generation Warfare:**

يعرفها البعض **بحروب العصابات Guerilla Wars**، ويعرفها "**ويليام ليند**" بالحرب الشبيهة للجيل الأول من الحروب التقليدية [5]، وظهرت حروب الجيل الثاني على يد الجيش الفرنسي أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى، وشهدت تلك الفترة استخدام القوة النارية الشاملة متمثلة في نيران المدفعية، وأصبح الهدف هو استنزاف العدو مع الحفاظ على ثقافة النظام العسكري والتراتيبية التي يفرضها، وازداد التركيز على القواعد العسكرية والإجراءات والتعليمات مع طاعة الأوامر [6].

- **حروب الجيل الثالث Third Generation Warfare:**

تُعرف **بالحروب الوقائية أو الاستباقية Preventive Wars** وهي حروب طُورت من قبل الألمان في الحرب العالمية الثانية، وسميت بحرب المناورات وتميزت بالمرونة والسرعة في الحركة، واستخدام عنصر المفاجأة والضرب خلف خطوط العدو؛ وتطورت معها أدوات الحرب فأصبحت تستخدم سلاح الطيران والقاذفات بعيدة المدى والصواريخ الموجهة، وتصاحبها بالعادة حملات إعلامية مركزة [7].

- **حروب الجيل الرابع Fourth Generation Warfare:**

يُعد مفهوم **حروب الجيل الرابع** من المفاهيم الحديثة نسبياً، ففي أواخر القرن العشرين أهتم العديد من الباحثين والمفكرين بتقديم رؤى جديدة عن تغير شكل الحرب ومستقبلها، حيث جاء الاستخدام الأول لمصطلح حروب الجيل الرابع بين مفكري التخطيط الإستراتيجي بالولايات المتحدة الأمريكية في أواخر

الثمانينيات كسبيل لتطوير الديناميات والاتجاهات المستقبلية للحرب، وقد ظهر مفهوم حروب الجيل الرابع في إطار الجدل الذ شهدته هذه الأوساط المعنية بإستراتيجيات الحروب كمحاولة للتفكير غير التقليدي؛ ويبقى الطرح الأهم الذي أتى به الخبير العسكري "**ويليام لينـد**" مع مجموعة من الضباط والأكاديميين العسكريين عام 1989، في مقاله: "**الوجه المتغير للحرب: نحو الجيل الرابع**"، حيث أرجعوا سبب تغير شكل الحروب إلى التقدم التكنولوجي، وتقلص الحدود الثقافية بين المجتمعات [8].

وعندما استقر المفكرون السياسيون والعسكريون الأمريكيون من خلال ورش عمل مختصة بمستقبل الحروب على مفهوم **حروب الجيل الرابع**، كان تصورهم أن الحرب تدخل بالفعل حقبة جديدة، تنتقل بها من المراحل التقليدية للحروب السابقة التي تعتمد مواجهات مسلحة بين جيوش متحاربة، إلى النفاذ إلى داخل مجتمع الدولة المُستهدفة، لإدارة المعارك في داخلها، فهي معارك تستخدم ما يمكن وصفة بالقوة الناعمة، التي تركز على تدمير الإرادة السياسية للعدو والتأثير التدميري على عقول صُناع القرار السياسي [9].

ويُطلق على حروب الجيل الرابع الحروب اللامُتماثلة أو غير المُتكافئة أو الحرب ضد اللادولة، حيث توظف هذه الحروب أنماطاً صراعية جديدة لإخضاع العدو، مثل الوسائل التكنولوجية المُتقدمة، والتمرد الداخلي والإرهاب بكافة صورة؛ بالإضافة إلى استغلال كل ما هو متاح من شبكات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية ضد الدولة المُستهدفة، ولعل من أهم سماتها، بل أخطرها على الأطلاق هو التماهي أو تلاشي الخطوط الفاصلة بين الحرب

والسلم، وبين ما هو مدني وما هو عسكري، وبين ممارسة العمل السياسي وخوض صراع عسكري [10].

وبناءً عليه، يمكن تعريف **حروب الجيل الرابع** بأنها تلك " الحروب التي تعتمد على التكنولوجيا الحديثة ووسائل الإعلام المختلفة لتضليل العقول، ونشر الشائعات التي تستهدف إضعاف الشعوب لتحقيق الفوضى" [11]؛ كما تُعرف بأنها " ذلك الصراع الذي يتميز بعدم المركزية بين أسس أو عناصر الدول المتحاربة من قبل دول أخرى" [12]. وفي تعريف آخر لها هي " نوع من الحروب اللامتكافئة والتي تتميز باستخدام أدوات غير عسكرية، بهدف إحداث الفوضى والدمار في الدولة المُستهدفة" [13].

وبدأ الإعلام المصري تداول مصطلح " **حروب الجيل الرابع** " خلال الأعوام الأخيرة للدلالة على وجود مؤامرة لإفشال الدولة المصرية من خلال محاولات الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مخططها «شرق أوسط جديد»، باستخدام طرق جديدة لا تشمل الاحتلال الفعلي للأراضي والمواجهات المباشرة مع الجيوش النظامية، وإنما تعتمد في الأساس على حروب غير متماثلة والتي تستهدف احتلال العقول لا الأراضي [14].

فالجيل الرابع من الحروب يطمس الخطوط الفاصلة ما بين السلم والحرب، المدني والعسكري، مناطق المعارك والمناطق الآمنة؛ وقد نشأ هذا الشكل الجديد من الحروب نتيجة فقدان احتكار الدولة القومية للعنف، وتصاعد الصراع الثقافي والعرقي والديني، وانتشار العولمة والأساليب التكنولوجية الحديثة على نحو متزايد [15]؛ مما أفرز حروباً لا تقع على أرض معركة محدَّدة، والاستهداف فيها لا

يطول الجنود فقط، وإنما الأفكار، والأطر القانونية، ووسائل الإعلام، والوكالات الدولية، والاتفاقيات، والأنشطة الاقتصادية، والسلطة السياسية، وعقول الأفراد بهدف التدميرين المادي والمعنوي؛ وهنا تتجلى مظاهر مخاطر وتهديدات حروب الجيل الرابع خصوصاً أنها تتم في فضاء مفتوح وواسع، متجاوزة الحدود الجغرافية والرسمية، فقد أعادت هندسة مفهوم الحرب بإعادة هيكلة الفواعل والأسلحة، وأساليب الحرب وإستراتيجياتها [16].

خامساً: أهداف حروب الجيل الرابع:

1- زعزعة استقرار الدولة المُستهدفة، وشغل جهاز الأمن بها وحرمان القائمين عليه من التمتع بالراحة، وتأجيج الصراعات بين أفراد الدولة المُستهدفة.

2- إحداث حالة من الخوف والهلع والرعب بين أفراد الدولة المُستهدفة، عن طريق الحرب النفسية بالاعتماد على وسائل الإعلام، والتي تُدار بشكل مُكثف لإحداث هذا النوع من الخلل [17].

3- تفتيت مؤسسات الدولة، والعمل على انهيارها أمنياً واقتصادياً وفكرياً، وتفكيك وحدة شعبها [18].

4- إنهاك قوة الدولة المعادية والتآكل البطيء في إرادتها، لإجبارها على تنفيذ ما تريده الدول الكبرى التي تستخدم هذا النوع من الحروب، من خلال فرض واقع جديد يخدم مصالحها.

5- إفشال الدولة من خلال عمليات محددة تنفذ في الدول المُستهدفة بخطوات يتم تنفيذها ببطء شديد باستخدام مواطني الدولة أنفسهم.

6- تحقيق نفس أهداف الحروب التقليدية (الجيل الأول والثاني والثالث للحروب) ولكن بتكلفة مادية وبشرية أقل.

7- تجنب مشكلات ما بعد الحروب التقليدية مثل الروح العدائية ضد الدولة المُعتدية [19].

8- خلق حالة من التعقيد السياسي للدولة المُستهدفة، من خلال العمل على تغيير عقول صُناع القرار، الاتجاه الذي يرغب فيه الخصم، من خلال الضغط النفسي والإعلامي [20].

سادساً: خصائص حروب الجيل الرابع:

الجيل الرابع من الحروب يعني تضاءل استخدام القوة، فالحرب لم تنتهي، ولكن القوة أصبحت تتخذ أشكالاً جديدة؛ ويمكن القول بأن خصائص حروب الجيل الرابع تتعدد ما بين خصائص اجتماعية وسياسية وإعلامية وعسكرية، تهدف جميعاً إلى هزيمة إرادة الشعب والسيطرة على النظام السياسي للدولة المُستهدفة، **وفيما يلي عرض لأهم خصائص تلك الحروب:**

- **أولاً: الخصائص السياسية:**

1) أنهت احتكار الدولة للحرب، حيث تستغل المسؤولية السياسية للدول تجاه مواطنيها لتطوير إستراتيجيات لإجبارها على انتهاج سلوك سياسي بعينه.

2) شجعت بشكل كبير على ظهور كيانات من غير الدول كالجماعات والقبائل العرقية، والتي تمثل المحرك الرئيسي في تشكيل روح الولاء والانتماء.

3) أظهرت الدور الحاسم الذي يمكن أن تلعبه الحملات الدعائية والحرب النفسية في التأثير على التوجهات العامة لصانعي القرار.

4) هي حرب طويلة الأمد، ويمكن أن تمتد إلى أجيال حيث تتعمد الإضعاف المستمر للعدو باستخدام كافة وسائل الضغط المتاحة.

- **ثانياً: الخصائص الاجتماعية والثقافية:**

5) تعمل على إضعاف التماسك الاجتماعي، وتهديد الهوية الثقافية للمجتمع.

6) تعمل على انخفاض الانسجام في المجتمع، ويصبح العالم المعولم هو البيئة المثالية لتلك الحروب التي تحقق نجاحاً كبيراً في المجتمعات المفتوحة.

7) تدهور فكرة الدولة وظهور الصراع الثقافي من خلال بروز حالة من الولاء لثقافات بعينها عابرة للحدود في العالم بأسره، وغالباً ما يرافق ذلك إضعاف التجانس المجتمعي [21].

- **ثالثاً: الخصائص التكنولوجية والإعلامية:**

8) اعتمادها على حرب المعلومات التي تعتمد على التقدم التكنولوجي.

9) غياب الطابع المؤسسي فهي تختلف عن الأجيال الأخرى كونها حروباً شبكية حيث لا يوجد لها مركز ثقل يعكس الهيكل المؤسسي.

10) تستخدم جميع الوسائل التكنولوجية لإقناع صانعي القرار بأن أهدافهم الإستراتيجية غير قابلة للتحقيق.

- **رابعاً: الخصائص العسكرية:**

11) تعمل على طمس الخطوط الفاصلة بين الحرب والسياسة، والصراع والسلام، والجنود والمدنيين، والعنف في ساحة المعركة والمناطق الآمنة، مما يفسر الضبابية الشديدة الذي تُميز هذا الجيل من الحروب.

12) تحويل الدولة المُستهدفة من حالة الدولة الثابتة (القوية) إلى الدولة الفاشلة (الهشة)، فهي حروب لا تستهدف الجنود فحسب، ولكن تستهدف الدولة بالكامل بما فيها من مدنيين.

13) منتشرة في جميع أنحاء العالم، وليس لها ساحة معركة محددة [22].

سابعاً: آليات (أساليب) حروب الجيل الرابع:

لمّا كانت حروب الجيل الرابع حروب غير تقليدية، فمن البديهي أن تستخدم تكتيكات مُغايرة في طبيعتها عن تلك التي اعتدنا أن نشاهدها في الأجيال السابقة من الحروب، فهي تعتمد لا على المواجهة المباشرة بين الجهات المُعادية والدولة المُستهدفة، ولا نشهد فيها قتال بين جيشين نظاميين بمفهوم الحرب التقليدي، ولكنها تعتمد على آليات وأساليب أخرى أكثر ضراوةً وتأثيراً على الدول المُستهدفة [23]؛ **وبالنظر إلى ما شهدته مصر عبر السنوات الأخيرة يتبين لنا أهم الآليات المُستخدمة لتحقيق أهداف تلك الحرب فيما يلي:**

1- الإرهاب:

حيث يعتبر الإرهاب أحد أهم الأساليب الرئيسية في حروب الجيل الرابع، حيث يُعد أمن واستقرار المجتمع بأسره هدفاً أصيلاً للإرهاب، ويتجلى في صور

عديدة منها: الاعتداء على المنشئات العامة والخاصة، والتركيز على إحداث الفتن الطائفية، وكذلك ممارسة العمليات الإرهابية، حتى يمكن القول بأن الإرهابيين هم اليد العليا والفاعلة في حروب الجيل الرابع [24]؛ كما أصبح الإرهاب الإلكتروني أكثر صور الإرهاب شيوعاً في الآونة الأخيرة، وذلك نظراً للتقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ولا يتخذ الإرهاب الإلكتروني شكلاً واحداً وإنما تتعدد أشكاله وتتنوع صوره وأساليبه، وتتمثل أشكاله في التجسس الإلكتروني، والقرصنة على المواقع الحيوية للمنشآت والمؤسسات الرسمية في المجتمعات المختلفة، والتجنيد الإلكتروني وغيرها، كما أن أدواته متعددة مُتمثلة في اختراق الفيروسات للبيانات وتدميرها، والتجسس وتجنيد الإرهابيين، وجمع الأموال وتمويل العمليات الإرهابية، وحروب الدعاية والأفكار المتطرفة والهدامة وغيرها [25].

2- حرب الشائعات (حرب المعلومات):

تعتبر الشائعات أقوى أسلحة حروب الجيل الرابع، حيث تتعدد الغايات التي تقف وراء حروب الشائعات بحسب الأطراف التي تقودها، وتتعدد وفقاً لذلك صورها، فهناك مجموعة متداخلة من أهداف حروب الشائعات التي لا تخرج عن كونها أهداف هدَّامة ومدمرة تمس جميع جوانب الحياة؛ أهمها الأهداف النفسية من خلال التأثير على الروح المعنوية وتفتيتها وتدميرها، وأهداف اجتماعية بغرض إثارة الفتن والخصومات وتعميق الخلافات القائمة بين بعض فئات المجتمع [26]، وايضاً أهداف سياسية وهي من أخطر الأهداف التي تسعى الشائعات إلى تحقيقها، وذلك بما تتناوله من تشويه لقادة الأمة والشخصيات

البارزة فيها؛ وهناك أهداف أخرى لحروب الشائعات منها بث الخوف والحقد والكراهية والعداوة بين صفوف الشعب، وتحطيم إرادة العدو، وتهبيط الروح المعنوية للمدنيين والعسكريين، وكذلك تعبئة الرأي العام أو تضليله حول موضوع ما. وتعتبر **الشائعات الفكرية** من أهم أصناف الشائعات، والتي تستهدف الأمن الفكري الذي هو ركيزة كل أمن وأساس لكل استقرار، ويُعد هذا النوع من أخطر أنواع الشائعات وأشدها تأثيراً [(27)].

حيث تقوم حروب الشائعات على بث المعلومات الخاطئة عن الأحداث ونشر الأخبار المزيفة ضد رموز الدولة المُستهدفة وضد المشروعات التنموية والخطط التوسعية التي تقوم بها الدولة، بهدف افتعال أزمات تثير الرأي العام وتُشعره بعدم الأمان، وتدفعه إلى مواجهات مع صانعي القرار السياسي في الدولة بهدف ألا يلتف الشعب حول فكرة الدفاع عن الأمن الوطني، والتصدي لأي غزو فكري لإفشال الدولة، وتعتمد حروب الشائعات بصورة جوهرية على وسائل الإعلام التقليدية والجديدة وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك لانتشار تلك الوسائل وتوافرها لدى جميع أفراد المجتمع بمختلف فئاته، مما يُسهل وصول الشائعة إليهم، وتأثيرها البالغ في نفوسهم [(28)]؛ وتستخدم ايضاً الأفلام والدراما التليفزيونية الجاذبة لتغيير أفكار وعادات وتقاليد الشعوب تمهيداً لتغيير الهوية الفكرية والثقافية لديهم ضمن استراتيجية الهيمنة الفكرية التي تعتمدها حروب الجيل الرابع [(29)].

3- ضرب البنية التحتية للدولة:

يُعد ضرب البنية التحتية للدولة المُستهدفة واحداً من أهم الطرق التي تستخدمها حروب الجيل الرابع، وذلك من خلال زعزعة الاقتصاد، واستهداف المرافق الحيوية كمحطات المياه والكهرباء وخطوط الغاز، واستهداف بعض المنشئات والمصانع الرئيسية بالتخريب المعتمد والممنهج، بهدف إنهاك قوى الدولة وإسقاطها من الداخل [30].

4- الحرب النفسية:

من أهم أساليب حروب الجيل الرابع الحرب النفسية المتطورة من خلال الإعلام والتلاعب النفسي، باستخدام محطات فضائية تنشر الأكاذيب وتزور الصور والحقائق، وتستخدم فيها وسائل الإعلام التقليدية والجديدة (وسائل التواصل الاجتماعي)، والتي تهدف إلى تضخيم التحديات والتهديدات التي تواجه الدولة المستهدفة، وزرع عدم الثقة في نفوس المواطنين، لإقناعهم بعدم قدرتهم على مواجهة هذه التحديات، بالإضافة إلى قطع التواصل بين المواطنين وقياداتهم على كافة المستويات من خلال التشكيك المستمر في أدائهم وانجازاتهم [31]. وتُعد التكنولوجيا والإعلام أحد أهم الأدوات الفعالة في هذا النمط من الحروب، بهدف تشويش عقول أفراد المجتمع مما يحقق حالة من الاستجابة التلقائية لكل ما يتلقونه من معلومات، والتي تكون مناهضة للدولة ومؤسساتها مما يساعد على خلق حالة من الاستياء الجماعي تجاه الدولة بهدف زعزعة أمنها واستقرارها.

5- إثارة الفوضى:

حيث تعتمد هذه الحروب على محاولة إشغال الدولة المستهدفة بثورات وأحداث شغب وتمرد واعتداء على المنشآت العامة والخاصة؛ حيث تتوالى هذه الأحداث بشكل متسارع يصعب معه السيطرة عليها [32].

6- تجنيد بعض الأفراد والهيئات:

حيث تعتمد هذه الحروب على تحريك جماعات وتنظيمات داخلية مدربة ضد النظام القائم في الدولة المُستهدفة مثل استغلال بعض منظمات المجتمع المدني، وبعض الأحزاب السياسية وكذلك بعض الناشطين من دعاة الحرية والديمقراطية، ومحاولة افتعال مواجهات بين قوات النظام ومؤسساته الأمنية وعناصر هذه الجماعات، واستدراج هذه العناصر لارتكاب خروقات أمنية وتجاوزات تتنافى مع المواثيق والأعراف الدولية الخاصة بالحريات العامة وحقوق الإنسان [33].

ثامناً: أدوات (وسائل) حروب الجيل الرابع:

تتعدد الأدوات والوسائل التي تعتمد عليها حروب الجيل الرابع وفقاً لأهمية الهدف الذي تقوم لأجله هذه الحروب، والمجال الذي تنوي استهدافه عسكرياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو فكرياً وثقافياً؛ **وانطلاقاً من هذا يمكن حصر أهم أدوات حروب الجيل الرابع فيما يلي:**

1- الإعلام:

يُعد الإعلام بمختلف صوره أقوى أسلحة حروب الجيل الرابع على الإطلاق، خاصة بعد أن تطورت وسائله وتعددت مع التطور الهائل في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، من الصحافة المطبوعة وحتى شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة في جميع أنحاء العالم؛ والتي أصبحت أشبه بإدمان الكتروني جديد لدى الملايين من سكان العالم، ووسيلة مُثلى لاستخدام الحرب النفسية على أوسع نطاق [34]، حيث عملت الدول الكبرى على استثمار الإعلام في حروبها الجديدة من خلال نشر الشائعات والفتن، والتحريض وتقسيم المجتمعات، وإدخال الدول في حالة من الفوضى تمهيداً للسيطرة عليها عن طريق التدمير الممنهج واستغلال الرأي العام، فيتمكن الطرف المُسيطر على الوسيلة الإعلامية من تحقيق أهدافه وتحطيم عدوه تحطيماً كاملاً، بدلاً من اللجوء إلى الحرب العسكرية المباشرة وما ينتج عنها من خسائر مادية وبشرية.

ويُعد التطور الثوري الهائل الذي شهدته وسائل الإعلام والاتصال وانتشارها العالمي، وخاصة الإلكتروني منها والتي تتميز بسهولة استخدامها وتوفرها بشكل مجاني، واكتسابها قاعدة جماهيرية كبرى، وتأثيرها الهائل على عنصر الشباب، أصبحت هذه الوسائل من أهم عوامل التغيير الثقافي والاجتماعي والسياسي [35]؛ وازدادت الأهمية التي تلعبها شبكات التواصل الاجتماعي في هذا الصدد نظراً لتميزها بسهولة الاستخدام وسرعة الانتشار ومساهمتها في نشر الأفكار عالمياً، من خلال توفير مادة معلوماتية والتي قد تكون مغلوطة لتوجيه أذهان الجمهور نحو قضية ما وكسب التعاطف لصالح طرف بعينة [36].

كما أصبح الإعلام الجديد يُمثل جوهر أدوات القوة الناعمة والتي حلت محل القوة الصلبة بصورة نهائية خاصة في حروب الأجيال الحديثة، فالقوة الناعمة تعني أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق ودعم في مجالات حقوق الإنسان والثقافة والفن، مما يدفع الآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والإعجاب به ثم إتباع مصادره؛ وبالتالي تصبح القوة الناعمة من أفضل الأدوات السياسية والعسكرية، إذ تستطيع السيطرة على الأفراد من دون أي تدخل عسكري [37].

ويستخدم الإعلام من قبل الدول الفاعلة للتأثير على مواطني الدولة المُستهدفة، من خلال تجنيد أكبر عدد من الإعلاميين وممن يمتلكون التأثير في الجمهور وصُنّاع القرار، حيث أصبح صناعة الخبر وبث الشائعات والفتن، وتضخيم أحداث بعينها وتجاهل أخرى أمر يسير، ويُستغل الإعلام في التأثير على مواطني الدولة المُستهدفة وكسب تعاطفهم من خلال توجيه الصورة الذهنية لديهم بما يخدم أجندة العدو في مقابل التنفير من النظام الحاكم، الأمر الذي من شأنه زعزعة أركان الدولة المُستهدفة؛ ويجعل من الإعلام أداة أشد فتكاً من الجيوش العسكرية [38].

2- <u>أجهزة الاستخبارات:</u>

حيث تمتاز حروب الجيل الرابع بتركيزها الشديد على الدور الاستخباراتي وارتفاع أهميته عن الاشتباك العسكري المُباشر، فلم يعد القضاء النهائي على العدو في صورته المادية هدفاً رئيسياً، ولكن تحول الهدف إلى القضاء على الإرادة السياسية والعسكرية للدولة المُستهدفة، ومهاجمة الثقافة الشعبية والدعم

المدني للحرب منذ البداية [39]، واتفاقاً مع هذا المبدأ تطورت الاستراتيجية الاستخباراتية لتواكب الدور الجديد الذي تلعبه لتحقيق أفضل النتائج لهذا الجيل الجديد من الحروب، حيث أصبح الاعتماد على شبكات التواصل الاجتماعي وعلى مواطني الدولة المُستهدفة أنفسهم (الاستخبار البشري) أكثر فاعلية منه على الأقمار الصناعية العسكرية.

3- المنظمات الدولية غير الحكومية:

حيث تقوم حروب الجيل الرابع باستغلال عدداً من المنظمات التي تُقدم الدعم والتدريب للشباب، ومنظمات المجتمع المدني داخل الدولة المُستهدفة لتنفيذ أجندات خارجية، من خلال تزويدها بالتمويل والتدريب لتأمين مصالحها وتأكيد نفوذها، وترتبط هذه المنظمات بأنشطة سياسية واجتماعية وخدمية لتحقيق أكبر قدر من الاختراق مجتمعياً، بهدف زعزعة الاستقرار وهدم كيانات المجتمع من الداخل.

4- النظام الحاكم نفسه:

قد يكون النظام الحاكم أحد أدوات حروب الجيل الرابع بإرادته، وهو إن وجد يُعد الأخطر على الإطلاق، فهذه الحروب تهدف إلى خلق دولة فاشلة وأن تصل إلى درجة من الانحلال يكون فيها آخر طرف باقي هو الحاكم ولا يكاد يستطيع الوقوف، وغالباً ما تنطبق تلك المخططات على التنظيمات التي تصل للسلكة وتعاني من فراغ فكري وإمكانات شبه معدومة، فتعمل على القضاء على

المسارات السياسية القائمة لتجنب نهايتها المحتمة خارج إطار السلطة ودوائر النفوذ، خاصة إذا كان الإطار الفكري للنظام الحاكم لا يُحبذ فكرة الدولة [40].

تاسعاً: أبعاد تأثير مخاطر حروب الجيل الرابع [41]:

تتعدد أبعاد تأثير حروب الجيل الرابع على أركان الدولة المُستهدفة وفي كافة المجالات؛ **ويتجلى أهمها فيما يلي:**

1- البُعد القومي، ويتمثل في:

تهديد الأمن القومي للمجتمع من خلال التشكيك في قدرات الشعب وقياداته، وطمس الهوية الوطنية، وإفشال نظام الحكم والنظام السياسي في الدولة، وزعزعة استقرارها ونشر الفوضى.

2- البُعد الإعلامي والتكنولوجي، ويتمثل في:

ترسيخ ثقافة الصورة والكلمة لدى الأفراد، وتوسيع النطاق لارتكاب الجرائم الإلكترونية مثل التجسس الإلكتروني، والإرهاب الإلكتروني.

3- البُعد الثقافي والفكري، ويتمثل في:

تدمير الثقافة من خلال تهديد القيم الأصيلة للمجتمع مثل التماسك الاجتماعي، والانتماء، والولاء، المسؤولية، بالإضافة إلى الغزو الفكري للأفراد من خلال تزييف الوعي واستعماره، وغرس قيم وسلوكيات دخيلة على المجتمع.

4- البُعد العسكري، ويتمثل في:

تنامي التهديدات الأمنية خاصة في ظل اعتماد القطاع العسكري على الوسائل التكنولوجية واتجاهه نحو الرقمنة، حيث أصبح ضرب القطاع العسكري إلكترونياً عملاً استراتيجياً، من خلال اختراق المخططات العسكرية، والمواقع الإلكترونية الحكومية والاطلاع على معلومات وبيانات الدولة المُستهدفة.

5- البُعد الاجتماعي، ويتمثل في:

تزييف الوعي الاجتماعي، واختراق المجتمع من الداخل، بهدف خلخلة الهوية الوطنية ومحاولة تفكيك النسيج المجتمعي القائم.

6- البُعد الاقتصادي، ويتمثل في:

ضرب البنية التحتية للدولة المُستهدفة، واختراق المنظومة الاقتصادية من خلال تدمير القدرة الصناعية، وتعطيل قطاعي التجارة والخدمات؛ بالإضافة إلى زيادة المديونية، وارتفاع معدلات القروض الدولية، وتراجع الاستثمار المحلي والدولي، وضرب المجال السياحي؛ فاختراق المنظومة الاقتصادية يُعد بمنزلة قطع لشريان الإنتاج، والتوزيع، واستهلاك السلع، والخدمات.

الهوامش

(1) آلاء ناصر حسين البعاج، فراس عبد المنعم عبد الله الشويلي، **الحماية الجنائية لأمن الدولة الداخلي في ظل حروب الجيل الرابع**، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 10، العدد 2، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالى، العراق، 2021، ص 5.

(2) سهيلة هادي، **الحروب الإلكترونية في ظل عصر المعلومات**، مرجع سابق، ص 125.

(3) آلاء ناصر حسين البعاج، فراس عبد المنعم عبد الله الشويلي، **الحماية الجنائية لأمن الدولة الداخلي في ظل حروب الجيل الرابع**، مرجع سابق، ص 3.

(4) Albert A. Nofi, **"Recent Trends in Thinking about Warfare",** The CNA Corporation, 2006, p. 8.

(5) شيماء الهواري، **المنظومة الإعلامية: الجيل الرابع من الحروب والعمليات النفسية**، مرجع سابق، ص 13.

(6) William. S. Lind, Col Keith and Others **"Understanding Fourth Generation War"** Op. Cit, p. 12.

(7) شيماء الهواري، **المنظومة الإعلامية: الجيل الرابع من الحروب والعمليات النفسية**، مرجع سابق، ص 14.

(8) William. S. Lind, Col Keith and Others "**The changing Face of war: Into the Fourth Generation**", Marine Corps Gazette, U.S.A., 1989, p. 22.

(9) آمال زرنيز، **أثر حروب الجيلين الرابع والخامس في إدامة الصراع بدول المنطقة العربية: سوريا وليبيا نموذجاً**، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 48، العدد 4، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2020، ص 126.

(10) دعاء محمد أحمد، **الدور التربوي للاتحادات الطلابية في تحصين طلاب الجامعة ضد مخاطر حروب الجيل الرابع**، مجلة كلية التربية، المجلد 31، العدد 124، كلية التربية، جامعة بنها، مصر، 2020، ص 112.

(11) نسرين حسام الدين، **دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الشباب المصري لمخاطر حروب الجيل الرابع: دراسة ميدانية**، مرجع سابق، ص 324.

(12) محمد فريد إبراهيم، **حروب الجيل الرابع في الإستراتيجية الأمريكية بالشرق الأوسط بالتطبيق على جمهورية مصر العربية**، مرجع سابق، ص27.

(13) محمود محمد علي، **حرب العصابات وبداية بزوغ حروب الجيل الرابع**، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2019، ص 22.

(14) محمود محمد عبد الحليم، **تعرض طلبة الجامعات لآليات حروب الجيل الرابع بمواقع القنوات الفضائية الإخبارية وعلاقته بمستويات الوعي بمخاطرها على الأمن القومي المصري: دراسة في إطار مدخلي إدارة الصراع والتهديدات المجتمعية**، مرجع سابق، ص 1039.

(15) Colonel Steven C. Williamson, **"From Fourth Generation Warfare to Hybrid War"**, Op.Cit, p.3.

(16) سهيلة هادي، **الحروب الإلكترونية في ظل عصر المعلومات**، مرجع سابق، ص 127.

(17) شادي عبد الوهاب، **التفجير من الداخل: الملامح الأساسية لدوامة العنف في حروب الجيل الخامس**، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، دورية اتجاهات الأحداث، المجلد 1، العدد 1، أغسطس 2014، ص 12.

(18) رنا محمد عبد العال، **التهديدات الدولية والإقليمية وآثارها على الدولة المصرية: دراسة حالة حروب الجيل الرابع**، مرجع سابق، ص 409.

(19) زينب حسني عز الدين، **أثر حروب الجيل الرابع على الأمن القومي العربي دراسة حالة: تنظيم الدولة الإسلامية (2011–2016)**، المركز الديمقراطي العربي، مصر، 2016، ص 11.

(20) Thomas X. Hammes, **"Insurgency: Modern warfare Evolves into a fourth generation"** , Strategic Forum, No. 214, Institute for National Strategic Studies (INSS), National Defense University, U.S.A, Jan 2005, p. 5.

(21) محمود محمد علي، **الفوضى وزعزعة الاستقرار وطبيعة حروب الجيل الرابع**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2019، ص 70.

(22) زينب محمود شعبان، **تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات المصرية في مواجهة مخاطر حروب الجيل الرابع لدى طلابها**، مرجع سابق، ص– ص 26–27.

(23) دعاء محمد أحمد، **الدور التربوي للاتحادات الطلابية في تحصين طلاب الجامعة ضد مخاطر حروب الجيل الرابع**، مرجع سابق، ص 125.

(24) Greg Simons, **"Fourth Generation Warfare and Clash of Civilizations"**, Journal of Islamic Studies, Vol. 21, Oxford University Press, UK, 2010, P. 412.

(25) جمال علي خليل الدهشان، **الإرهاب في العصر الرقمي "الإرهاب الإلكتروني": صوره، مخاطره، آليات مواجهته**، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد 1، العدد 3، المؤسسة الدولية لآفاق المستقبل، إستونيا، 2018، ص 95.

(26) وديع محمد، **الإشاعات وشبكات التواصل الاجتماعي: المخاطر وسبل المواجهة**، مجلة الإعلام والعلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية، المجلد 1، العدد 3، المملكة العربية السعودية، 2016، ص 33.

(27) سلوى أحمد ميدان، نهى عبد الخالق أحمد، **الشائعات الإلكترونية ودور المرجعية الدولية في التصدي لها**، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك، العراق، (ب.ت)، ص 6.

(28) آمنة حسين أحمد، **الشائعات كأحد وسائل الجيل الرابع في الحروب**، المؤتمر العلمي السادس لكلية الحقوق بعنوان "القانون والشائعات"، كلية الحقوق، جامعة طنطا، 2019، ص 27.

(29) شيماء الهواري، **المنظومة الإعلامية: الجيل الرابع من الحروب والعمليات النفسية**، مرجع سابق، ص 17.

(30) ندية عبد النبي القاضي، **اتجاهات النخبة المصرية نحو إدارة المواقع الإخبارية لآليات حروب الجيل الرابع في مصر**، مرجع سابق، ص 6.

(31) محمود محمد علي، **الفوضى وزعزعة الاستقرار وطبيعة حروب الجيل الرابع**، مرجع سابق، ص 76.

(32) إسلام عيسى، **الأنثروبولوجيا ودورها في أجيال الحروب الحديثة**، مرجع سابق، ص 60.

(33) دعاء محمد أحمد، **الدور التربوي للاتحادات الطلابية في تحصين طلاب الجامعة ضد مخاطر حروب الجيل الرابع**، مرجع سابق، ص 127.

(34) نبيل فاروق، **أنت جيش عدوك: حروب الجيل الرابع**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2016، ص 56.

(35) ريما موسى، **دور وسائل الإعلام في حروب الجيل الرابع ومسؤوليتها في القانون الدولي العام**، مرجع سابق، ص 4.

(36) نيفين إبراهيم محمد، **المسؤولية الاجتماعية لمؤسسات الدولة في مواجهة حروب الجيل الرابع: دراسة ميدانية**، مرجع سابق، ص 199.

(37) أسامة عبد الرحمن، **القوة الناعمة**، نشر شخصي للمؤلف، الطبعة الأولى، القاهرة، 2018، ص 8.

(38) Christina, M. Knopf, and Eric, J. Ziegelmayer, **"Fourth generation warfare and the US Military's social media strategy''**, Op. Cit, p. 7.

(39) Edward Jamison, **"Intelligence Strategy for Fourth Generation Warfare"**, U.S. Army War College, Carlisle, U.S.A, 2006, P. 44.

(40) نيفين إبراهيم محمد، **المسؤولية الاجتماعية لمؤسسات الدولة في مواجهة حروب الجيل الرابع: دراسة ميدانية**، مرجع سابق، ص: ص 198: 200.

(41) زينب محمود شعبان، **تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات المصرية في مواجهة مخاطر حروب الجيل الرابع لدى طلابها**، مرجع سابق، ص 45.